الله ، وربما احترف تعذيب الآخرين ، احتجاجا على التعذيب الذى لقيه . وهو على أية حال شخصية يستحق الدراسة . . وتستحق الرثاء .

ورغم محاولاتى العديدة للتعرف اليه ، الا ان الفشل كان من نصيبى دائما . فكلما التقينا وجا لوجه فى الفناء ، كان يفتح فمه عن ضحكة عصبية لا تحمل أى معنى ، ثم يسرع الخطى مطأطىء الرأس ، وبصره على الارض ، كأنما هو ديك رومى هربان يبحث عن شىء يلتقطه ، وعندما أعيتنى الحيل صرفت النظر تماما عنه . فقد اقتنعت بأنه لابد أن يكون مجنونا ، أو على الأقل مسه خبل فى عقله . فقد كان أحيانا يصرخ لأتفه سبب ، وأحيانا لغير ما سبب .

وكان اذا صرخ سب المساجين و الحراس والادارة ، فاذا وقع بصره على الضابط ، اكتفى بسب المساجين فقط واليوم الأغبر الذى قذف به الى هذا المكان !

وبعد أسابيع طويلة من وصولى الى سجن القناطر لغط السجن كله بأن عبدالستار السياسى مريض بمرض خطير ، وانه طلب نقله الى مستشفى قصر العينى ، ولما لم تستجب الادارة الى طلبه ، هدد بالاضراب عن الطعام ، ولكن تهديده لم ير النور على الاطلاق ! .

وذات مساء وكان الليل قد انتصف ، سمعت نحيبا مكتوما يتردد صداه عبر جدران السجن الغليظة الصماء . ولما أصخت السمع جيدا اكتشفت أن الصوت صادر من زنزانة عبدالستار . وشعرت بالحزن عليه ، فاذا كان السجن الانفرادى سيئا ، فليس أسوأ من الشعور بالوحدة فى سجن يموج بالسجناء . فطوال الفترة التى مرض فيها لم يدخل زنزانته احد الا الحارس الغليظ الذى كان يكن كراهية خاصة لعبدالستار ، مبعثها انه لا يملك فائضاً من السجاير . كما أن منظره لا يوحى بأنه مسجون سياسى ، ولابد أن هناك خطأ ما . وكانت تجربة الشاويش الحلوانى الطويلة فى السجون تؤكد ان المساجين السياسيين كلهم من طبقة الاثرياء . وزراء سابقون ، ورجال أحزاب من اصحاب الطين ، وضباط ومحامون وصحافيون وأطباء واحيانا طلبة ، ولكنهم جميعا يعيشون فى السجون فى بحبوحة من العيش ، ويغدقون بسخاء على الحراس والمساجين . نعم كله الا هذا العبد الستار .